

أوراسيا-الأطلسي... بين التنافس والصراع

The Russian-Atlantic Relations: Between Competition and Conflict

أ.د. عبد الوهاب بن خليف (*)

تاريخ الإرسال 2022/03/22 تاريخ القبول 2022/ 06/ 08 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:	Abstract :
<p>تسعى روسيا إلى تبني "إستراتيجية التدمير البناء" من خلال مواجهة الإستراتيجية الغربية القائمة أساساً على الإبقاء على الزعامة الغربية الأطلسية، والتي تعتمد على استنزاف القوة الروسية في ساحات جيوسياسية مختلفة، وبخاصة أوكرانيا وسوريا...</p> <p>كما يسعى الغرب الأطلسي إلى إفشال أي تحالفات إستراتيجية بين روسيا وأوروبا، أو روسيا والصين، أو روسيا وإيران وغيرها. وعليه، فإن ما يحدث بين روسيا والغرب الأطلسي هو في واقع الأمر صراع بين البر والبحر، ومحاولة من روسيا لإعادة بناء</p>	<p>Russia is pursuing the "Constructive Destruction Strategy" through facing the Western strategy of maintaining the Euro-Atlantic primacy over the world by draining up Russia's power and capabilities in several geopolitical fields, including Ukraine and Syria. Moreover, the Western Atlantic is working to foil any strategic alliance either between Russia and Europe, or between Russia and China or Russia and Iran. Therefore, what is unfolding between Russia and the West Atlantic is indeed a conflict between land and sea, in which Russia has been attempting to build up a new</p>

(*) - كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، البريد الإلكتروني:

benkhelif10@yahoo.fr

<p>security structure, part of the grand Eurasian project, in order to weaken the Atlantic security system that has prevailed following the demise of the Soviet Union.</p> <p>Keywords: Russia; Eurasia; Competition; Conflict; West Atlantic.</p>	<p>جديد للأمن الأوروبي في إطار مشروع أوراسيا الكبرى يهدف إضعاف نظام الأمن الأطلسي السائد منذ انهيار الاتحاد السوفياتي.</p> <p>الكلمات المفتاحية: روسيا - الغرب الأطلسي- أوراسيا - التنافس- الصراع</p>
--	---

مقدمة:

تشهد العلاقات الدولية تغيرات هيكلية في بنية النظام الدولي؛ ولم تعد الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحده المهيمن كما كانت عليه الحال منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي، وبخاصة بعد بروز قوى دولية وإقليمية جديدة بإمكانها أن تنافس أمريكا، على غرار روسيا التي عادت كلاعب فاعل، والصين التي صعدت كقوة اقتصادية عالمية، دون إغفال القوى الإقليمية الصاعدة الأخرى، مثل: الهند، والبرازيل، وإيران، وتركيا، وجنوب إفريقيا... لذلك، فإن التعددية الجيوسياسية والانتقال من الأحادية القطبية إلى عالم متعدد الأقطاب، لن يكون سهلاً، ولن يتحقق دون تفاهات سياسية واقتصادية وإستراتيجية بين القوى المهيمنة: الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا...

وعليه، وبناءً على ما تقدم، فإن هذه الدراسة تنطلق من الإشكالية التالية: هل ستمكّن القوى الأطلسية من محاصرة وإضعاف روسيا، ومن ثم الهيمنة على منطقة أوراسيا، أم أن روسيا ستكون بالمرصاد، وستنجح في مواجهة العقوبات الغربية، من خلال تبني

سياسة الردع لإضعاف اقتصاديات الدول الغربية، وبخاصة في حالة ما إذا تعزز التحالف الروسي-الصيني؟

وانطلاقاً من هذه الإشكالية، سنحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال النقاط التالية:

1-منطقة أوراسيا.. صراع البر(التيلوروكراتيا) والبحر(التالاسوكراتيا)¹:

عرفت العلاقات الدولية منذ بداية الألفية الثانية من القرن الحادي والعشرين، تحولات اقتصادية واجتماعية لبعض الدول الآسيوية، على غرار روسيا، والصين، والهند، وإيران...، ووصل الأمر ببعض الدول إلى مستوى التحالف الإستراتيجي، مثل روسيا والصين، وهو ما دفع بمنطقة أوراسيا برمتها إلى استعادة قوتها الجيوبوليتيكية على الساحة العالمية.

وقد شكلت منطقة أوراسيا - منذ عقود- مجالاً حيويًا يحتوي مناطق مختلفة من القارتين الأوروبية والآسيوية، حيث تمتد إلى روسيا ودول القوقاز شمالاً، وإلى منطقة البحر الأبيض المتوسط جنوباً، وشرق أوروبا وآسيا الوسطى غرباً. وتقع دول كبرى، ذات ثقل سياسي واقتصادي في العلاقات الدولية، على هوامش المنطقة الأورآسية، أو تلك التي تشكل قوس أورآسيا، على غرار الصين والهند وإيران من الجهة الغربية، وتركيا من الجهة الجنوبية، وألمانيا من الجهة الغربية...

وإعتبر ألكسندر دوغين Alexandre DOUGUINE، وهو أحد أهم منظري الجيوبوليتيكية الروسية، أن الرد المنطقي الوحيد على الإرادة الأطلسية وجبروتها، هو العودة

¹-التيلوروكراتيا: تعني، في اللغة اليونانية، السيطرة على طرق البر، أي امتلاك القوة البرية، وهي من خصائص الدول الكبرى ذات التوجه الجيوبوليتيكي للسيطرة على اليابسة. أما التالاسوكراتيا: فتعني، في اللغة اليونانية، السيطرة على طرق البحر، أي امتلاك القوة البحرية، وهي من خصائص الدول الكبرى ذات التوجه الجيوبوليتيكي للسيطرة على البحر.

إلى المخزون الحضاري الخاص، وتجديد المصادر الإستراتيجية والإقتصادية والثقافية والضرورية لروسيا لكي لا تُمعى من التاريخ باليد الحديدية لبناء النظام العالمي الجديد... ويعتبر دوغين أن منطقة أوراسيا كانت خلال القرن العشرين ساحة للصراع بين القوتين البرية بقيادة روسيا والقوة البحرية الأطلسية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. ويعتقد أن المنطقة الأوراسية هي امتداد طبيعي وعمق استراتيجي لروسيا، التي تسعى لاستعادتها².

ويرى المفكر البريطاني هالفورد جون ماكيندر Halford John MACKINDER أن منطقة أوراسيا هي عبارة عن رقعة شطرنج يستمر عليها الصراع من أجل احتلال المكانة الأولى في العالم³. هذه الرؤية الإستراتيجية لمنطقة أوراسيا، جسّدتها الكثير من القوى الكبرى، على غرار فرنسا وبريطانيا، منذ القرن التاسع عشر، والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتتجسد منذ 2014 بالتدخل العسكري في شبه جزيرة القرم، وفي 2022 بالغزو المباشر لأوكرانيا. وهي في واقع الأمر، معركة نفوذ في هذه المنطقة الحيوية بين روسيا والأطلسي.

2-نهاية الحرب الباردة وبداية الزعامة الأمريكية:

إن مفهوم الأمن القومي، حسب الطرح الأمريكي، هو عبارة عن منظومة تحتوي على أمن أمريكا وحلفائها وشركائها، كما تعني الاقتصاد وتطوره، وتعني منظومة القيم الأمريكية، وتعني أيضاً ضمان الزعامة الأمريكية للعلاقات الدولية.

2-ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيك: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، الطبعة الأولى. ترجمة: عماد حاتم، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

3- زيبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوإستراتيجية الملحة، تر: سليم أبراهام، دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2006، ص 08.

وتحت ذريعة تحقيق الأمن القومي للدول، تصبح فكرة الحدود الصلبة للدول بلا معنى، وتحل بدلاً عنها فكرة الحدود الشفافة، والتي تعني التدخل في أي مكان وأي زمان من أجل الحفاظ على الأمن القومي⁴.

عملت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على إبعاد أوروبا عن روسيا من خلال استنزاف هذه الأخيرة -أي روسيا-، واستبعاد مقولة الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول أن بناء أوروبا يكون من المحيط الأطلسي إلى الأورال، أي من روسيا إلى غرب أوروبا، وذلك إدراكاً منها لما لروسيا من دور مؤثر أوروبياً وعالمياً، وذلك من خلال محاصرتها وإبعادها عن أوروبا واليابان والصين، بتعزيز التقارب الأمريكي-الصيني-الياباني، واستدراج القوة النووية الأوكرانية لحلف الناتو، في إطار عملية الإصلاحات والتوسيع التي باشرتها منذ بداية التسعينيات⁵. غير أن تلك المحاولات فشلت في استيعاب الصين، لأن التقارب الروسي-الصيني، أصبح -أكثر من أي وقت مضى- يمثل النواة الصلبة في محور موسكو-بكين، وبخاصةً منذ بداية العشرية الثانية من الألفية الثالثة.

ومنه تشكلت ساحات الفراغ الجيوستراتيجي، في الكثير من مناطق العالم، وشملت الطرق والمنافذ الإستراتيجية في مناطق القوقاز، والبلقان، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط، والمحيط الهادئ... وهي مناطق تقع في المجالات الحيوية الأوراسية.

أضر انهيار الاتحاد السوفييتي، الذي يعتبره الاستراتيجيون الروس خطأً استراتيجياً فادحاً، بالأمن القومي الروسي، وبخاصةً في القوقاز والبلقان. وما يحدث في أوكرانيا، منذ عام

4- حامد سلطان، جيوپوليتيك: عندما تتحدث الجغرافيا. بيروت: تمكين للأبحاث والنشر، 2013، ص 81.

5- Emmanuel TODD, Après l'Empire : Essai sur la décomposition du système américain. Paris : Editions Gallimard, 2002, PP.152-154.

بن خليف عبد الوهاب: أوراسيا-الأطلسي...بين التنافس والصراع

2014، يدخل في إطار استعادة روسيا لمجالها الحيوي في مواجهة الحلف الأطلسي، ومن أهم هذه المناطق، نذكر ما يلي:

- انسحاب الإتحاد السوفييتي من منطقة آسيا الوسطى، وآخرها أفغانستان في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، حيث ترك فراغاً استراتيجياً، ملأته الولايات المتحدة في التسعينيات وبداية الألفية الثالثة باحتلال أفغانستان تحت مظلة حلف الناتو في عام 2001، واحتلال العراق في عام 2003.

- انسحاب الإتحاد السوفييتي من شرق أوروبا، وبخاصة من الدول القريبة جغرافياً، ومنها من كانت جزءاً من الإتحاد السوفييتي سابقاً، مثل أوكرانيا ودول البلطيق.

- كان انسحاب الإتحاد السوفييتي من المنطقة العربية، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ذريعةً للولايات المتحدة الأمريكية لتمرير مشروعها الجديد المسى "مشروع الشرق الأوسط الجديد"، الذي يكرس الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية على المنطقة العربية، للمحافظة على أمن إسرائيل والمصالح الأمريكية فيها، وقد تجسّد فعلاً منذ احتلال العراق عام 2003، والذي استمر إلى غاية عام 2011، وما تبعه من سقوط دول عربية محورية، مثل: العراق، وسوريا، وليبيا، واليمن، والسودان...

- ساعد الإنسحاب السوفييتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي على تمكين الانتقال من الثنائية القطبية، التي بدأت منذ الحرب العالمية الثانية وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية، إلى الأحادية القطبية.

جسّدت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ نهاية الحرب الباردة، إستراتيجية بعيدة المدى في أوروبا، تهدف إلى ملء الفراغ الإستراتيجي، الذي نتج عن انهيار الإتحاد السوفييتي سابقاً، من خلال عزل روسيا، وتحييد أوكرانيا عن أوروبا الغربية، واحتواء أوزبكستان، وإبعاد آسيا

الوسطى من ساحة النفوذ. ويُفهم من هذه الإستراتيجية كذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ركزت على منطقة أوراسيا باعتبارها منطقة حيوية ومصدراً مهماً بالنسبة لانتقال السلع والمال لتقوية الإقتصاد الأمريكي، وتحسين مستوى معيشة الأمريكيين.

يمكن تلخيص إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهتها مع روسيا ودول حليفة لها، على غرار الصين وإيران، في النقاط التالية:

- تبني فكرة توسيع حلف شمال الأطلسي شرق أوروبا منذ فترة حكم الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون Bill CLINTON وصولاً إلى دول البلطيق ومحاولة ضم جورجيا وأوكرانيا.
- تبني فكرة توسيع الإتحاد الأوروبي شرقاً إلى غاية أوكرانيا من خلال الضغط على قادة الإتحاد الأوروبي للسير في هذا الإتجاه.
- تشجيع الثورة البرتقالية نحو دول شرق أوروبا، على غرار الدول ذات الحدود المباشرة مع روسيا، من خلال الترويج لنموذج الديمقراطية الغربية، وهي محاولة لعزل روسيا عن محيطها الإقليمي.

3- صعود روسيا كقوة عالمية:

عادت روسيا إلى العلاقات الدولية من عدة ساحات، أهمها جورجيا، وأوكرانيا وسوريا، أي منذ عام 2008 في جورجيا، ومنذ 2013 في سوريا، ومنذ 2014 في أوكرانيا، واستعمالها رفقة الصين لحق الفيتو ضد المشاريع التي طرحتها الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية:

- **الأزمة الجورجية:** بدأت الأزمة الروسية-الجورجية بعدما أعلنت روسيا رسمياً عام 2008 أنها لا تعترف بالعقوبات الاقتصادية التي فرضتها رابطة الدول المستقلة على أبخازيا في عام 1996، ولم تكثف بهذا فقط، بل ذهبت إلى حد إقامة علاقات دبلوماسية مع السلطات الانفصالية في أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية. جاءت الخطوة الروسية بعدما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية في أبريل من عام 2008 أن جورجيا بإمكانها أن تكون جزءاً من حلف الناتو، الأمر الذي اعتبرته روسيا تهديداً مباشراً لأمنها القومي.

- **الأزمة الأوكرانية:** تُعتبر الأزمة الأوكرانية من أخطر الأزمات الدولية التي واجهتها روسيا في عهد الرئيس فلاديمير بوتين Vladimir POUTINE، ذلك أن أوكرانيا تمثل عمقاً إستراتيجياً وتربطها حدود مع روسيا. وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوصول إلى العمق الإستراتيجي الروسي المباشر عبر أوكرانيا، من خلال استدراجها إلى عضوية حلف الناتو وبناء شراكة اقتصادية مع الإتحاد الأوروبي، وهو ما اعتبرته روسيا تهديداً مباشراً لأمنها القومي، وردّت عليه بعمليات عسكرية في شرق أوكرانيا، كان آخرها التدخل العسكري في شبه جزيرة القرم عام 2014.

- **الأزمة السورية:** تمثل سوريا لروسيا آخر قلاعها الإستراتيجية المطلة على البحر الأبيض المتوسط بعد سقوط العراق في عام 2003، وليبيا في عام 2011، وبخاصة وأن سوريا تربطها علاقات إستراتيجية بروسيا منذ السبعينيات من القرن الماضي، ولها قاعدة عسكرية في طرطوس، شرقي البحر المتوسط. لقد استعملت روسيا حق النقض في مجلس الأمن عدة مرات لإفشال مشاريع التدخل الغربي في سوريا. وقد تدخلت عسكرياً في الجغرافيا السورية عام 2015.

4- أوراسيا في مواجهة الأطلسية الأمريكية:

بالرغم من التراجع الروسي منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي سياسياً وعسكرياً في شرق أوروبا إلى غاية مجيء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خلال العشرية الأولى من الألفية الثالثة، ظلت المبادرات الروسية تنشط بهدف التقرب من دول الإتحاد الأوروبي، ومن أهمها المبادرة التي تم اقتراحها من قبل القيادة الروسية في الخامس جوان من عام 2008، حيث اقترحت روسيا على دول الإتحاد، وتحديداً ألمانيا، اتفاقية جديدة للأمن في أوروبا، تقضي بوضع تصور جماعي للوقاية وحل النزاعات، وبلورة أشكال جديدة للتعاون، ومحاربة الإرهاب والجريمة المنظمة، وكذا مراقبة التسلّح وتعزيز الأمن في المنطقة الأورو أطلسية.

كان هدف روسيا من وراء هذه المبادرة تفويض المشاريع التي يبادر بها حلف الناتو للتوسع من شرق أوروبا إلى المنطقة الأوراسية، بل وحتى توجيه دعوة غير رسمية للأوروبيين، وبخاصة فرنسا وألمانيا، للخروج من هذا الحلف الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، التي تخدم مصالحها على حساب المصالح الأوروبية.

وإزداد تحالف القوى الأطلسية بعد الإجتياح الروسي لأوكرانيا؛ فحتى فنلندا والسويد اللتان التزمتا سياسة الحياد لأكثر من ثمانين عاماً مع الجارة روسيا، هما اليوم تخرجان عن حيادهما وتطلبان الإنضمام إلى الحلف الأطلسي، الأمر الذي قوبل بالرفض من قبل القيادة الروسية لاعتباره تهديداً مباشراً للأمن القومي الروسي.

لكن الأوروبيين، حتى وإن كانوا مقتنعين بأن التعاون مع روسيا سيجعل من الإتحاد الأوروبي قوة عالمية، فإن أغلبهم ما زال يعتقد بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العسكرية والإقتصادية التي بإمكانها إنقاذ الإتحاد الأوروبي من التراجع أو الإنهيار. إن الأوروبيين يدركون جيداً بأن الولايات المتحدة الأمريكية وإن كانت تدعم مؤسسات الإتحاد الأوروبي

بن خليف عبد الوهاب: أوراسيا-الأطلسي...بين التنافس والصراع

وتحبذ استمراره ككيان، فإنها - في المقابل- لا تريد أن يكون هذا الإتحاد قوياً ومستقلاً عن المظلة الأمريكية.

لقد تراجعت هذه الفرضية كثيراً منذ مجيء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب Donald TRUMP، حيث شجّع خروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي، وانسحب من الإتفاقات التي تربط الولايات المتحدة الأمريكية مع شركائها الدوليين خلال عهده الرئاسية (2016-2020)، ونذكر منها: انسحابه من منظمة اليونسكو، ومن اتفاقية المناخ بباريس، ومن اتفاقية التجارة الحرة مع أوروبا، ومن الإتفاق النووي الإيراني مع الدول الكبرى. كما تم إيقاف المساهمات الأمريكية لمنظمة الصحة العالمية، ولوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا / UNRWA)، وغيرها...

عبّر الأوروبيون عن إرادة أوروبية صلبة خلال قمة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي المنعقدة في 1 و2 ديسمبر 2010 بأستانا بكازاخستان، والتي كان هدفها إعادة بعث التعاون بين الأعضاء البالغ عددهم 56 عضواً، والذين اجتمعوا لأول مرة منذ عام 1999 خارج أوروبا، من أجل تدارس وضع الأمن الأوروبي والأوراسي.

كما أن قمة الإتحاد الأوروبي- روسيا المنعقدة في 7 ديسمبر 2010 ببروكسل، كانت ترمي إلى تحقيق التقارب بين روسيا ودول الإتحاد الأوروبي، باعتبار أن هناك عمقاً استراتيجياً متبادلاً بين الطرفين سيستدعي التعاون والتقارب في جميع الميادين. لكن يبدو أن عراقيل كثيرة حالت دون تجسيد المبادرات السابقة، ومن أهم هذه العراقيل:

- تباعد المواقف الروسية عن مواقف دول الإتحاد الأوروبي بخصوص الأزمة السورية التي بدأت في عام 2011، حيث كان هناك اصطفاك لدول الإتحاد الأوروبي مع الموقف الأمريكي المناهض للنظام السوري من جهة، وللدعم الإستراتيجي الروسي لسوريا من جهة أخرى.

- إندلاع الأزمة الأوكرانية في عام 2013 بعد الدعوة الأوروبية لأوكرانيا لعقد شراكة مع الإتحاد الأوروبي، وكذا الانضمام إلى حلف الناتو، كانا بمثابة الضربة القاضية للعلاقات الروسية الأوروبية، لاسيما بعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، وبخاصة وأن أوكرانيا التي تربطها حدود مع روسيا تمثل العمق الاستراتيجي المباشر لروسيا، بالإضافة إلى أن جزءاً كبيراً من الصناعات الأوكرانية مرتبط عضويًا بالصناعات الروسية، وخصوصاً العسكرية منها، زيادة على أن ثلث الأوكرانيين، ولا سيما في شرق أوكرانيا، يتحدثون اللغة الروسية ويتبنون ثقافتها، مع العلم بأن أوكرانيا كانت جزءاً من الإتحاد السوفييتي إلى غاية تفككه في بداية التسعينيات.

يَعتبر بعض المنظرين الأمريكيين وصول الحلف الأطلسي إلى الحدود الروسية، وتحديدًا إلى أوكرانيا، خطأً استراتيجياً ارتكبته الولايات المتحدة الأمريكية في حق علاقاتها مع روسيا؛ ومن هؤلاء المنظرين، رائد النظرية الواقعية الجديدة، جون ميرشايمر John MEARSHEIMER، الذي قدم طرحاً خلال الأزمة الأوكرانية عام 2014، أكد فيه ضرورة تحييد أوكرانيا وجعلها دولة حاجزاً بين الغرب وروسيا، وإعلان الحلف الأطلسي تخليه عن فكرة التوسع ليشمل أوكرانيا. وحدّر من العقوبات الاقتصادية ضد روسيا التي لن تؤثر كثيراً، لأن أوكرانيا مهمة استراتيجياً لروسيا، وليست بنفس الدرجة من الأهمية الإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية⁶.

- تُعد منطقة أوراسيا إحدى أهم المناطق في العالم؛ وقد تناول العديد من المفكرين أهميتها الجيوسياسية والجيواستراتيجية، على غرار المفكر البريطاني المختص في الجيوسياسة،

- مقال نُشر في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية في أكتوبر 2014، ص 01-126.

[https:// it.ly/354 gymd](https://it.ly/354gymd)

« the Why Ukraine crisis is the west's faut »

هالفورد جون ماكيندر Halford John MACKINDER، الذي يصفها بأنها " تقع في مركز العالم، ويقع في مركزها قلب العالم، ومن يتحكم في هذا القلب، يتحكم في العالم كله"⁷. كما ذهب المفكر الأمريكي، هنري كيسنجر، إلى أن " تفوق الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي يعتمد مباشرة على مقدار استمرارية وكيفية سيطرتها على القارة الأوراسية"⁸.

تزداد أهمية أوراسيا بأهمية منطقة بحر قزوين والدول المطلة عليه، وهي: روسيا، وأذربيجان، وإيران، وتركمانستان وكزاخستان، وبخاصة إذا علمنا أن هناك احتياطات كبيرة من النفط، الذي يشكل - على التوالي- بالنسبة لروسيا وإيران أكثر من 5 بالمائة، وأكثر من 15 % و 23 % من الغاز من الإحتياطي العالمي. أما الدول الثلاث الأخرى: أذربيجان، وكزاخستان وتركمانستان فتتراوح النسبة فيها ما بين 3 % و 4 % من احتياطات العالم بالنسبة للنفط، و 6 % بالنسبة للغاز⁹.

بادرت دول الإتحاد الأوروبي إلى الإستثمار في هذه المنطقة المهمة من أوراسيا، من خلال الإستفادة من المشاريع الخاصة بالنفط والغاز. فهناك مشاريع بدأ العمل بها وأخرى في طريقها للتجسيد، ومن أهمها¹⁰:

- أنبوب نفط رابط بين أذربيجان وتركيا عبر جورجيا، بدأ العمل عام 2006؛

- أنبوب غاز رابط بين أذربيجان وجورجيا وتركيا، بدأ العمل منذ عام 2007؛

7- معين حداد، مرجع سابق، ص 73.

8- زيغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص 39.

9- Gaïdz Minassian et autres, *Eurasie au cœur de la sécurité mondiale*. Paris : Editions Autrement Frontières, 2011, P. 23.

10- Ibid, P. 25.

- أنبوب نفط رابط بين إيران وتركمانستان وكزاخستان وروسيا والبحر الأسود؛

- خط نفط رابط بين إيران وأفغانستان وتركمانستان؛

- خط نفط رابط بين باكستان والهند والصين؛

- خط غاز رابط بين إيران وتركمانستان؛

- خط غاز رابط بين إيران وتركيا¹¹.

كما أن هناك مشاريع أخرى في الغاز تربط بين روسيا وأوروبا عبر تركيا، وقطر وأوروبا عبر تركيا كذلك...، بالإضافة إلى مشاريع الغاز والطاقت المتجددة بين الجزائر وأوروبا، لاسيما مشروع ديزرتاك بين الجزائر وألمانيا.

تمثل هذه المنطقة الجيواستراتيجية بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي مصدر اهتمام لتنوع احتياطاتها من الطاقة ووارداتها من هذه المادة الحيوية، حتى لا تكون روسيا فقط هي الممول الوحيد لأوروبا، وبخاصة بعد الأزمة الأوكرانية وتداعياتها الأمنية والسياسية على العلاقات بين روسيا وأوروبا.

5- الصين-روسيا-الهند-إيران...السعي للعودة إلى التعددية القطبية:

إن عودة روسيا كقوة عالمية في المجال الإستراتيجي العسكري، والصعود المتعاظم للصين كقوة اقتصادية عالمية، وكذا الهند، وبروز إيران كقوة إقليمية بعد دخولها نادي الكبار منذ التوقيع على الإتفاق النووي في جوان 2015 مع الدول الدائمة العضوية وألمانيا، أعاد

11- وليد عبد الحي، إيران: مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020. الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، 2010، ص 437.

بن خليف عبد الوهاب: أوراسيا-الأطلسي...بين التنافس والصراع

الاعتبار لمنطقة أوراسيا والدول المحيطة ببحر قزوين الغنية بالنفط والغاز، بالإضافة إلى الاحتياطات الهائلة التي لم تُستغل بعد في بحر قزوين.

إزدادت الأهمية الجيوإستراتيجية لمنطقة أوراسيا بعد التوجّه الصيني نحو منطقة آسيا الوسطى والقوقاز والبحر الأسود، وتعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية مع هذه الدول.

وكانت منظمة شنغهاي الإطار المصلي الذي تلتقي فيه هذه الدول، وبخاصة الدول الأكثر تأثيراً، وهي الصين من الناحية الاقتصادية، وروسيا من الناحية العسكرية والإستراتيجية. ويُنتظر من هذه المنظمة أن تكون أكثر حضوراً على الساحة الدولية من خلال استثمارات الصين الضخمة. وسيكون طريق الحرير بالنسبة للصين، الشبكة الاقتصادية التي تعزّز التعاون بينها وبين دول المنطقة الأوراسية، باعتبارها همزة وصل بينها وبين القارات الثلاث: آسيا-أفريقيا-أوروبا.

كانت هناك إستراتيجية تضيق غربي بإيعاز أمريكي على المجالات الحيوية المختلفة لروسيا والصين، وحتى إيران في أوروبا الشرقية (أوكرانيا، دول البلطيق الثلاث، بولونيا، ألبانيا، جمهورية التشيك...)، والقوقاز (جورجيا...) ودول آسيا الوسطى (أرمينيا، أذربيجان، كزاخستان...)، وبخاصة بعد التوقيع على معاهدة السلام بين حلف الناتو وهذه الدول عام 1999، من خلال محاولات ضم عدد من هذه الدول لحلف الناتو والاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى تنصيب الولايات المتحدة الأمريكية للدع الصاروخي في دول من أوروبا الشرقية، ولا سيما بولندا وجمهورية التشيك.

لكن بالمقابل، كانت لهذه الإستراتيجية، التي كانت تهدف إلى إضعاف هذه الدول وتحييدها، نتائج عكسية أدت إلى زيادة في التقارب الروسي- الصيني أكثر من أي وقت مضى، بالإضافة إلى أنه كان سبباً مباشراً في استيعاب إيران وضمّها إلى محور موسكو- بيجين، فضلاً عن تعزيز التعاون بين هذه الدول وباقي أعضاء منظمة شنغهاي. فقد صمدت إيران، بالرغم من

العقوبات الاقتصادية الصارمة، وأصبحت أقوى بعد التوقيع على الاتفاق النووي مع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن وألمانيا.

إن اشتداد العداء الغربي، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، في كل أنحاء العالم الإسلامي، بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، وما انجر عنها من احتلالٍ لأفغانستان في نفس العام، ثم غزو العراق في عام 2003، أدى إلى فشل أمريكا في المحافظة على زعامتها للعالم، وهي التي خرجت من الحرب العالمية الثانية كقوة كونية، وبخاصة منذ عام 1990، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة.

ونتيجة لكل ذلك، عرفت الولايات المتحدة موجات استعداد كبيرة في العديد من مناطق العالم، نذكر أهمها:

- تفجّر الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط (القضية الفلسطينية، أفغانستان، العراق، ليبيا...):

- ❖ الأحداث الداخلية في باكستان؛
- ❖ التقارب الهندي-الروسي؛
- ❖ هيمنة إيران على منطقة الخليج؛
- ❖ السخط الأوروبي ضد السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط؛
- ❖ الإستياء الروسي من السياسة الأمريكية في العديد من المناطق؛

- إقامة الصين مجموعة آسيوية شرقية والتي أصبحت أكثر تطوراً بعد مرور عقدين من الألفية الثانية، بالإضافة إلى الدور الذي تقوم به منظمة شنغهاي؛

- عزلة اليابان باعتبارها حليفاً استراتيجياً للولايات المتحدة الأمريكية؛

بن خليف عبد الوهاب: أوراسيا-الأطلسي...بين التنافس والصراع

- تزايد الموجات الشعبية المعادية للولايات المتحدة الأمريكية:

- انهيار نظام عدم الانتشار، وبخاصة بعد تراجع الدور الأمريكي في العالم خلال عهدي الرئيس باراك أوباما والرئيس دونالد ترامب، الأمر الذي أدى إلى رفع شعار "أمريكا أولاً"، بالإضافة إلى المواقف السلبية التي تبنتها أمريكا خلال الأحداث التي عرفها العالم العربي، وتكريس سياسة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، وآخرها ما يُعرف بـ "صفقة القرن" لتصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائي¹².

لقد اعترف الغرب بفسل النظرية الليبرالية بسبب عدم التركيز على الأطروحات الواقعية في جعل الدولة تعتمد أساساً على ذاتها في بناء قوتها الوطنية، وازداد هذا الفشل عندما شجعت الدول الأطلسية دول شرق أوروبا، وآخرها أوكرانيا، على الإنضمام إلى الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي، وهو ما ذهب إليه ستيفن وولت¹³.

كما أن استمرار سياسة الاستعداد التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران، لم تكن في مصلحتها، لأن ذلك كان في مصلحة روسيا والصين وباقي الدول الأوراسية في القوقاز والبلطيق وآسيا الوسطى، وهو ما سيجعل أمريكا أكثر عزلة مع مر الوقت، وبخاصة بعد التصريحات المتكررة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب "أمريكا أولاً".

تشكل منطقة آسيا الوسطى جسراً استراتيجياً يربط بين الصين وروسيا وإيران، بالرغم من المشاكل السياسية والتحديات الجيوسياسية الموجودة في هذه المنطقة، سواء تعلق الأمر بروسيا، أو بالصين، أو بالولايات المتحدة الأمريكية، أو بدول الاتحاد الأوروبي، لكن المصالح

12- زيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، تر: عمر الأبوي. بيروت: دار الكتاب العربي، 2008، ص 187.

13- لمزيد من الاطلاع، أنظر: ستيفن وولت، مجلة السياسة الخارجية الأمريكية، العدد 19، يناير 2022.

الاقتصادية بين الدول ستتغلب على الخلافات السياسية في نهاية المطاف. ولعل من أبرز هذه التحديات ما يلي:

- الأزمات الاقتصادية التي تعانيها دول القوقاز ودول آسيا الوسطى؛
 - الأزمات السياسية في القوقاز حول المياه، وبخاصة بين قرغيزيا وأوزبكستان وكازاخستان؛
 - التوتر الأرميني-التركي؛
 - الصراع الأرميني-الأذري حول إقليم ناغورني قره باغ وتداعياته الجيوسياسية داخلياً وخارجياً؛
 - الأزمات السياسية والخلافات الإثنية في جورجيا وقيرغستان؛
 - الغزو الأمريكي لأفغانستان منذ عام 2001 وما انجر عنه من انعكاسات أمنية وسياسية خطيرة على البلاد ستستمر تداعياتها لسنوات قادمة.
- وبناءً على ما سبق، فإن هذه المناطق الحيوية مرشحة لأن تكون أكثر اهتماماً وجذباً للقوى الكبرى، ومن بينها روسيا والصين، ذلك أنها مرشحة لمزيد من الاكتشافات النفطية، وبخاصة في الدول المطلة على بحر قزوين، ولا سيما إيران وكازاخستان وسيبيريا الروسية، الأمر الذي سيزيد من اهتمام أوروبا بهذه المناطق. وقد بدأ هذا الاهتمام فعلاً منذ بداية الألفية الثالثة، وذلك من خلال المشاريع التي تجسّدت، وكذا المشاريع المتفق عليها¹⁴.

ولعل ما يزيد من أهمية هذه المناطق قربها من الصين، التي تمثل أكبر دولة من حيث التعداد السكاني، والذي يتجاوز المليار ونصف المليار نسمة، أي ربع سكان الكرة الأرضية تقريباً، وكذلك ما تسجله الصين من أكبر نسبة نمو في العالم، واعتمادها المتزايد على نفط المنطقة.

14- عبد الوهاب بن خليف، منطقة أوراسيا... جيوسياسية نفوذ وتنافس القوى الكبرى. ستراتيجيا. وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، 2013، ص39.

6- العالم العربي إلى أين؟ :

بدأت فوائد التقارب الروسي-الصيني تتحقق من خلال الاستثمارات المتزايدة في المنطقة العربية، بالإضافة إلى الرهان الكبير الذي أصبحت توليه الدول العربية لهذا المحور الاستراتيجي بين روسيا والصين، في ظل التراجع الأمريكي الواضح في المنطقة العربية وتوجّهه نحو المحيط الهادي، وبخاصةٍ خلال فترة حكم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الذي أولى اهتماماً للدخول الأمريكي على حساب الخارج.

ساهمت عودة روسيا كقوة عالمية، مع تنامي القوة الاقتصادية الصينية، في تراجع نظام الأحادية القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وفي بروز نظام التعددية القطبية من جهة أخرى.

لقد استثمرت روسيا دعمها للكثير من الدول العربية بالعتاد العسكري، وبخاصة الجزائر، وسوريا، ومصر، ودول خليجية، بالإضافة إلى تركيا وغيرها من الدول، في خدمة مصالحها؛ وقد تَرَجَمَ ذلك تعاظُم نفوذها في مناطق مختلفة، كآسيا الوسطى، والقوقاز، وإفريقيا، وحتى في بعض دول أمريكا اللاتينية.

وحسب ما يبدو، فإن روسيا ستتنشط خلال السنوات القليلة القادمة على جبهتين؛ أما الأولى، فهي الجبهة الآسيوية والأفريقية، وأما الثانية، فهي الجبهة الأوروبية، ففيما يتعلق بجبهة آسيا وشمال أفريقيا على وجه الخصوص، فإن روسيا ستعتمد على الموروث السياسي والعسكري الذي يربطها بهذه المنطقة. وأما ما تعلق بالجبهة الأوروبية، فإنها ستظل تراهن على عمقها الإستراتيجي الأوروبي.

أما بالنسبة للعالم العربي، فإن مواقف روسيا مازالت مؤيدة للدول العربية، اقتناعاً منها بأن مصالحها مازالت قائمة في المنطقة العربية، وبخاصة في سوريا، بالرغم من تراجع وجودها

في البلاد العربية. ولذلك، فإن من مصلحة العرب تكييف مواقفهم مع المواقف الروسية، والتي تُعتبر أكثر سنداً ودعماً لهم إذا ما قورنت بمواقف دول أخرى، مع الأخذ في الاعتبار بأن روسيا تبحث دائماً على المحافظة على مصالحها المختلفة في المنطقة.

وأما الصين، فإن تغلغلها في الأسواق العربية أخذ في الإتساع، ذلك أن السلع الصينية تحتل المراتب الأولى في أغلبية الدول العربية، الأمر الذي سيجعلها البلد أكثر حضوراً، وبخاصة بعد تجسيد مشروع طريق الحرير.

ركزت كل من روسيا والصين - بعد عودتهما إلى الساحة الدولية- على محورين: هما المحور الآسيوي والمحور الأفريقي؛ وإذا كانت روسيا تعتمد على الموروث السياسي والعسكري الذي يربطها بهذه المنطقة، كما سبقت الإشارة إليه، فإن الصين ستظل تعتمد على القوة الناعمة، من خلال تكثيف الاستثمارات الاقتصادية في العالم العربي، لتسهيل تغلغلها في جميع أقطاره.

الخاتمة:

كخلاصة لما سبق، نصل إلى الإستنتاجات التالية:

- إن الجيوسياسية هي الصراع بين القوة البرية بقيادة روسيا والصين، والقوة البحرية بقيادة الدول الغربية الأطلسية؛

- القوة البرية تمثل حضارات الشرق (روسيا الأرثوذكسية، والصين الكونفوشية، والعالم الإسلامي...)، في حين تمثل القوة البحرية الحضارة الغربية الأطلسية (الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا...)؛

بن خليف عبد الوهاب: أوراسيا-الأطلسي...بين التنافس والصراع

- روسيا والصين هما العدوان الأساسيان في الإستراتيجية الأمريكية؛
- فصل أوكرانيا عن روسيا هو عملية جيوسياسية بدأت منذ انهيار الإتحاد السوفييتي من قبل الاستخبارات الأمريكية؛
- تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى منع أي تحالف استراتيجي بين روسيا وأوروبا من جهة، وبين روسيا والصين من جهة أخرى، وبخاصة بعد نهاية الحرب الباردة؛
- لن تتحقق مواجهة الهيمنة الغربية في العلاقات الدولية إلا في ظل التقارب الروسي-الصيني والعالمين العربي والإسلامي...؛
- تؤكد الحرب الروسية- الأوكرانية أن الحروب التقليدية مازالت مستمرة، وأن حروب الجيل الرابع والخامس ما هي إلا مكملات للحروب التقليدية، التي تعتمد على الطائرات والصواريخ والدبابات... وهي من تحسم المعركة على الأرض؛
- يبيّن التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا أن روسيا قادرة على ردع سياسات حلف الناتو التوسعية شرق أوروبا، لأن روسيا في عام 2022 قوية عسكرياً واقتصادياً ودبلوماسياً، وليست كما كانت خلال التسعينيات من القرن الماضي.
- وبالإضافة إلى هذه الإستنتاجات، هناك عدة تساؤلات تُطرح في العلاقات الدولية من قبيل:
 - ما هو مصير حلف الناتو بعد الأزمة الأوكرانية، وخصوصاً بعد تحقيق روسيا لأهدافها الإستراتيجية؟
 - ما هو مستقبل العلاقات الروسية-الأوروبية؟
 - روسيا- أمريكا: الصدام العسكري أم التوافق السياسي؟

- وأخيراً، ما هي مكانة العالم العربي في العلاقات الدولية؟

قائمة المراجع:

1- المراجع باللغة العربية:

- 1- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيك: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، الطبعة الأولى. ترجمة: عماد حاتم، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.
- 2- زيبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية الملحة، تر: سليم أبراهام. دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2006.
- 3- زيبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، تر: عمر الأيوبي. بيروت: دار الكتاب العربي، 2008.
- 4- حامد سلطان، جيوبوليتيك: عندما تتحدث الجغرافيا. بيروت: تمكين للأبحاث والنشر، 2013.
- 5- معين حداد، إشكالية المكان: دور البر والبحر في الصراع بين الشرق والغرب والعالم الإسلامي، الطبعة الأولى. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2015.
- 6- وليد عبد الحى، إيران: مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020. الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، 2010.
- 7- عبد الوهاب بن خليف، منطقة أوراسيا... جيوسياسية نفوذ وتنافس القوى الكبرى. استراتيجية. وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، 2013.

2- المراجع باللغات الأجنبية:

- 8- Emmanuel TODD, Après l'Empire : Essai sur la décomposition du système américain . Paris : Editions Gallimard, 2002.
- 9- Gaïdz Minassian et autres, Eurasie au cœur de la sécurité mondiale. Paris : Editions Autrement Frontières, 2011.

10- John. J. Mearsheimer, « Why Ukraine crisis is the west's fault : Liberal Delusions that Provoked Putin », Foreign Affairs, September / October 2014, P.P 01-12

متاح على الموقع:

<https://www.mearsheimer.com/wp-content/uploads/2019/06/Why-the-Ukraine-Crisis-Is.pdf>

11– Steven Walt, Foreign Affairs, N° 19, January 2022